# الفراغ العمراني في تدمر
# ملاحظات حول صور فوتوغرافية جوية قديمة*

**جان-ماري دنتزر، رينيه سوپان**
***مركز البحث الأثري في المركز الوطني للأبحاث العلمية - باريس - فرنسا***
**ترجمة: محمد شيخ ديب**

**مقدمة[1]:**

في صبيحة السادس من آذار ١٩٣٠، وفي الساعة الثامنة وأربعين دقيقة، قام الطيران الفرنسي في المشرق بالتقاط مجموعة صور جوية لتدمر مؤلفة من ١٥٠ صورة[2]، كانت سلبياتها من نوعيات مختلفة ولم يبق منها سوى بعض النسخ المسحوبة على ورق قديم بمقياس (١/٢٠٠٠)[3]. لا تظهر التغطية المجسمة واضحة على العموم بأطراف الصور، التي لم يضبط أخذها بشكل أشرطة منتظمة، لكنها تغطي عملياً فضاء تدمر كله على طول ٣,٨كم (شمال - جنوب) و ٥كم (شرق - غرب). يمكن اضافة صور جوية أخرى عمودية وقديمة بمقياس (١/١٠٠٠٠) وبمواصفات أدنى[4] تمسّ تدمر دون أن تغطي المنطقة بمجملها، وهي تقدم بعض المتممات حول محيط الموقع غير المرئي من المجموعة الأولى.

**مصوّر تدمر:**

يبدو أن علماء الآثار لم يستعملوا حتى الآن الصور المأخوذة عام ١٩٣٠ بشكل منظم[5]. وبصورة عامة، فإن اللجوء الى تلك الصور الجوية بصفتها مستندات للبحث ظلت محدودة فيما يتعلق بعلم الآثار التدمري. وتفيد الصور التي تظهر في المطبوعات، ولا سيما الملتقط منها بشكل مائل في تزيين الكتب. فقد كانت محاولات تحليل الصور الجوية هذه نادرة ضمن اطار دراسة شاملة لموقع تدمر[6].

وفي نفس الوقت الذي اكتشفت فيه مجموعة الصور ذات المقياس (١/٢٠٠٠)، أعيد اكتشاف مخطط عقاري بالمقياس ذاته منفذ تحت عنوان: «أعمال المسح والاصلاح العقاري»، وذلك بالاستناد إلى طلعة جوية أخرى قام بها الطيران الفرنسي في المشرق بتاريخ ١٤ تشرين الأول في السنة ذاتها[7] ومن أعمال رفع طبوغرافية لمنطقة محدودة ما زالت بعض نقاطها موجودة في الموقع حتى الآن.

وتفيد هذه المجموعة من الوثائق الفوتوغرافية والمصورات كقاعدة لانشاء مخطط أكثر تفصيلاً للموقع وجواره. وتظل المصورات المنشورة حتى يومنا هذا غير كافية لدراسة وتتبع نمو مدينة تدمر[8]. فبعد المخططات التي نشرها وود[9] وكاسّاس[10]، جاء مخطط غابرييل[11]، المنفذ بسرعة حسب آ. ڤون جركان[12] ليُستخدم كما يبدو بصورة مباشرة أو غير مباشرة كأساس للمنشورات اللاحقة وخاصة Palmyra في هذه المنشورة صحح ث. ويغاند[13] وأكمل قليلاً مخطط غابرييل وذلك انطلاقاً من أعمال رفع جديدة. وقد رافقت أعمال رفع طبوغرافية أكثر حداثة التنـ...ت الكبرى حول معبد بعلشمين، معسكر ديوقلسيان، معبد نبو، وحفريات المجموعات القريبة من صف

الأعمدة والمسرح والأغورا، وقد ظلت أعمال الرفع محصورة في هذه المواقع على ما يبدو[١٤].

إن المخطط العقاري ذا المقياس ١/٢٠٠٠ قد أُغني بمعطيات الصور المأخوذة في شهر آذار عام ١٩٣٠، فهو يشكل بذلك أساساً لمخطط شامل للموقع بمقياس ١/٥٠٠٠ ولمخططات أكثر تفصيلاً بمقياس ١/٢٠٠٠ و ١/١٠٠٠. وقد سمحت البعثتان اللتان عملتا في الموقع خلال شهر حزيران من عام ١٩٩٢ و١٩٩٣ بتصحيح واتمام وثائق عام ١٩٣٠. ويمكننا منذ الآن رسم بعض خطوط للبحث التي توضحت من خلال تلك الوثائق.

**تدمر عام ١٩٣٠:**

يظهر عام ١٩٣٠ - تاريخ تصوير المخطط العقاري - مرحلة هامة لاستكشاف الموقع؛ وهو أيضاً تاريخ انتقال سكان القرية القديمة المتوضعة داخل معبد بل الى قرية جديدة بُنيت في التاريخ نفسه الى الشمال الشرقي من المدينة القديمة المحاطة بالسور المسمى سور ديوقليسيان. وقد فسحت هذه العملية المجال أمام التنقيب في معبد بل لكنها كانت نقطة الانطلاق للتوسع العمراني الحديث، وتكرست بذلك مساحة واسعة من ضواحي المدينة القديمة فأصبحت صعبة المنال من وقتها. إلا أن هذا الموقع الخالي من الصروح الأثرية الضخمة كان مأهولاً في القديم، وقد لعب بالتالي دوراً في حياة المدينة.

ويمكن متابعة هذا العمل بالتفصيل على الصور الجوية المأخوذة في آذار عام ١٩٣٠، لا سيما عند مقارنتها مع المخطط العقاري الشاهد على حالة الأمكنة في شهر تشرين الأول من العام نفسه. وتحتفظ هذه الوثائق بصورة القرية القديمة في معبد بل الذي أفرغ ربعها الغربي في شهر آذار، وثلثاها في تشرين الأول. وبالمقابل فإن البيوت المبنية خارج معبد بل لم تمسها يد، و تظل الصور شاهداً لدراسة هذا الجزء من القرية وتقدم كذلك لقطات عام ١٩٣٠ وثائق ثمينة جداً تخصّ نموّ الواحة التي أمدّنا الرحالة القدماء بمعلومات وارشادات عنها ومنهم موزيل[١٥]. ويظهر بالمقارنة مع الوضع الحالي مدى التوسع الزراعي ونموّ الأشجار المثمرة والتي كانت نادرة في الأصل وفي عام ١٩٣٠ أيضاً.

لم يغطِّ بناء القرية الجديدة بعض البنى العمرانية فحسب، لكنه أدى الى تخريب أماكن أخرى الى الجوار وذلك بغية إعادة استعمال موادها القديمة.

إننا نشاهد على الصور الجوية وبوضوح كامل مساقط عدد من المنشآت أو أجزاء من منشآت، بينما تظهر عناصر أخرى بشكل غير واضح وبدون تفاصيل. أما ما ظهر بشكل واضح فهو في الحقيقة شرائح محيطها معتم حُفرت حديثاً بهدف اعادة استعمال حجارة أساسات الأبنية القديمة والتي بنيت واجهاتها بالقرميد غير المشوي. وتظهر بعض الغرف محيطة بفسحات يمكن أن نعتبرها كثكنات أو كخانات مع مستودعاتها قد تعرضت للنهب قبل أن تُغطى بالقرية الجديدة[١٦]. ومن الممكن أن تكون قافلة الإبل الظاهرة على الكليشيه رقم ٢٠٢ والمقتربة من الحدود الغربية للقرية محمّلة ببعض المواد لاعادة استعمالها[١٧].

ومع توسع القرية الجديدة من الجنوب الى الشمال، تظهر أمام أعيننا المراحل المتلاحقة لبناء الجزر المستطيلة فنرى الجزر بادئ الأمر محددة، وفي مرحلة ثانية تبدو مواد البناء مصففة بطريقة منظمة، ونلاحظ بعد ذلك المراحل المتتابعة للبناء التي تنتهي ببناء السقوف.

يبدو من مخطط القرية ذي الزوايا القائمة تماماً، والمقطّع الى مربعات منتظمة أنه قد استند على بنية معمارية مستطيلة الشكل أبعادها ٢٠٠×٢٥٠م، والتي اعتبرت معسكرات من زمن الامبراطورية الرومانية المتقدم[١٨]. وكانت هذه البنية مغطاة كاملة بالقرية في آذار ١٩٣٠، لكنها تظهر على مخطط غابرييل. ويمكن انطلاقاً من نقاط العلام المعروفة والموجودة على مخطط عام ١٩٣٠ تحديد موقعها بشكل تقريبي فتفسر بذلك ومن خلال المخطط الاتجاهات التي أخذتها القرية الجديدة.

وفي عام ١٩٣٠، ومع بروز القرية الجديدة، ظهرت مشكلة امداد موقع مدينة تدمر بالماء. وقد صرّح مهندس الري م. فيتالي في العام نفسه بأنه قد تعرّف

على أقنية الري القديمة وأعادها الى حالتها الطبيعية لإرواء القرية الجديدة[١٩]. وعلى عدد من صور عام ١٩٣٠ التي بدت عليها آثار تلك الأقنية واضحة جلية، نرى العمال وهم يحفرون، وفي واحد من الآبار المفرغة والمعرضة للهواء والمحاطة بردميات طرية[٢٠] نشاهد بوضوح عمالاً يرمون التراب بمجارفهم الى الخارج فيظهر كل بئر محاط بردميات حديثة. ومن الجلي أن القناة الشمالية تقوم بتصريف المياه عن سفوح الهضاب القريبة من القلعة العربية، أما الجنوبية فربما كانت تلتقط مياه مجرى وادي القبور.

ولذا أصبح من الواجب تأريخ ظهور تلك الأقنية وتحديد دورها المفترض في إمداد القرية القديمة بالماء، وبشكل أوسع دور الشبكات المحلية التي مازالت بحاجة الى دراسة الى جانب القناة المحمولة التي تجلب المياه من منطقة أبي الفوارس الواقعة على بعد ٧كم غربي مدينة تدمر[٢١].

**المعالم الأثرية القديمة:**

كشفت الصور الجوية، وكذلك المخطط العقاري عن عدد من البُنى المعمارية الغير معروفة حتى وقتنا الحاضر، وأخرى كانت معروفة سابقاً لكنها أصبحت أكثر وضوحاً، عندما وُضعت في محيطها الطوبوغرافي. وإضافة الى ذلك، فإن وثائق عام ١٩٣٠ التي تشغل فيها القرية الحديثة مساحة ضيقة، تتيح لنا اعادة النظر في الفراغ العمراني لمدينة تدمر ضمن بيئته المحيطة.

**١- الأسوار وأنظمة الحماية (الشكل ١):**

لقد نالت أنظمة الدفاع في تدمر أهمية متميزة في الدراسات الحديثة. وعرفت هوية عدد من المنشآت، لكن تفاصيلها، وظائفها وبخاصة تواريخها لم تحدد بصورة نهائية[٢٢].

السور المتأخر: وهو مجهز بأبراج وأبواب كانت قد أحاطت في عصر زنوبيا أو من عصر ديوقليسيان جزءاً من المدينة السابقة والمؤلفة من المباني العامة الأساسية ومن أحياء سكنية ذات تاريخ حديث نسبياً ويظهر من مسار السور جزء لابأس به حالياً، وذلك بفضل الحفريات الحديثة التي قامت بها في الشمال والجنوب مديرية الآثار في الجمهورية العربية السورية. ويمكننا أن نرى مساره من الجهة الشرقية داخل البساتين، حيث يبدو من الصور الفوتوغرافية لعام ١٩٣٠ على شكل خطّ منحن، تخطه حدود بعض البساتين، ويليه حالياً طريق عام. وقد تمكنا من مشاهدة السور على الواقع حيث ما زال عدد من أبراجه ظاهراً للعيان حتى يومنا هذا.

سور آخر: (أشير إليه بالأحرف KK على مخططي غابرييل وآ. ڤون غيركان) يحيط بمساحة أكثر اتساعاً، وقد وصف في المنشورات السابقة. وهذا الحاجز مبني من القرميد المشوي على أساس من الحجر، ويظهر واضحاً على الصور الفوتوغرافية في السهل وعلى الحدود الجنوبية للواحة[٢٣]. وخلافاً لتأكيدات آ. ڤون غيركان[٢٤]، فإننا نستطيع حتى الآن تتبع مساره، على مسافة ما وذلك على امتداد الشريحة الظاهرة الى الشرق من الباب المسمى باب دمشق والمدروس من قبل ج. ستاركي[٢٥]. وفي الواقع فالبساتين التي أعيد حفرها لمتابعة سقاياتها[٢٦] وجد فيها حجارة محفوظة ومتداخلة في السور بشكل عمودي على مساره، وتبدو هذه الجدران كأنها لم تمس أثناء عمليات الحفر[٢٧]، وقد تعود تلك الحجارة الى البنية التحتية للجدار KK الممتد باتجاه الشرق. وقد ظهر هذا الامتداد على مخطط غابرييل مع زاوية تبعد بحدود مائة متر من الوادي. وعلى ما يبدو فلم يكن هذا الجدار قد غُطي بالبساتين الظاهرة في الشمال عام ١٩٢٦ وعلى العكس ففي عام ١٩٣٠ يظهر على الصور والمخططات العقارية أن الجدار قد استهدف البساتين التي كانت آخذة في الامتداد في وقت من الأوقات.

يعتلي هذا الجدار الانحدار القاسي لجبل المنطار، ثم يتابع بعد ذلك حتى قمته باتجاه الشمال الشرقي. ويمتد هذا الجزء المبني بالحجارة الجافة الى أسفل الرابية من خلال جزء من اللبن نقبه م. غاوليكوفسكي عام ١٩٧١ وكان الجزء الحجري يؤدي الى بداية صف الأعمدة المعترضة. أما بقية المسار فقد ظهر في المدينة وتحت جدار في أسفل الدكاكين التي

تحدصف الأعمدة المعترضة من الشرق. وقد تم تخيل تراجع هذا الجدار باتجاه الشرق بطريقة معقولة بحيث يمر أسفل صف الأعمدة في الشارع الطويل أو باتجاه الشمال قليلاً. أما الصور الفوتوغرافية فلم تُظهر منه أي أثر: فقد حُفر الموقع بعمق لبناء الشارع الطويل والحي السكني الجديد الواقع مباشرة في الشمال. وأما تتمة السور في الجهة الشرقية مع التفافه نحو الجنوب فمن الصعب اعادة تخيله. فالجزء المقترح على مخطط م. غاوليكوفسكي عند طرف البساتين و المستند على معلومات شفهية، لم يظهر على الصور. ومن جهة أخرى، فإننا نلاحظ على تلك الصور الأخيرة، قسمين من جدران متباعدة تنحدر من جبل المنطار باتجاه الشمال والشمال الغربي. ولا يمكن أن تفسر هذه الجدران الا كعناصر وجدت بغرض اغلاق وادي القبور. ويؤدي الجدار L أبعد الجدران باتجاه الشرق الى المدفن - البرجي رقم ٢ المتوضع على هضبة وأما امتداده الذي كان يجب أن يقطع طريق حمص فقد اعتبره م. غاوليكوفسكي السور المستقيم الذي يتصالب مع القناة[٢٨].

الجدار - السدّ الشمالي (الشكل ٥): في عام ١٩٢٦ شاهد آ. غابرييل حفرة وحاجزاً ترابياً JJ شمالي تدمر، وقد أجرى حفرية فاتضح له المقطع الجانبي لهذه المنشأة التي استُخدم فيها ملاط جصي[٢٩]. ويؤدي هذا الجدار على مخطط غابرييل وباتجاه الغرب الى القلعة العربية (قلعة ابن معن). يؤكد كرنكر بأنه لم يشاهد امتداد الجدار حتى القلعة، بل يعتقد على العكس بأنه قد حدد في طرفه الشرقي آثار تراجع نحو الجنوب. وقد وصل هذا الجدار الى الوادي الجاف الذي أصبح جزء منه مثل حفرة[٣٠]. وقد توصل آ. ڤون جيركان بالنتيجة الى أن كرنكر كان قد وصف بالحقيقة التراجع نحو الجنوب لسور ديوقليسيان الذي اختلط مع الجدار JJ[٣١]. كما أن م. غاوليكوفسكي قد أعاد رسم مسار الجدار JJ من جهة الشرق بالاستناد الى شهادة السيد عبيد الطه، الذي أشار بأن الجدار ربما كان يتابع امتداده الى الشرق حتى حدود المدينة الحديثة ليلتف بعدئذ بوضوح نحو الجنوب فيحمي المقبرة الجنوبية الشرقية[٣٢].

تبين الصور الجوية الأثر المستقيم تقريباً لذلك الجدار الذي ينتهي في الجهة الشرقية عند النقطة X حيث يقطعه أحد الوديان (الشكل ١)، ولم يحتفظ بالمقابل بأي أثر للتراجع نحو الجنوب وربما يكون قد جرف بفيضان الوادي.

إن هذه المنشأة التي يزيد طولها على ١٦٠٠م، والتي تتوافق مع الطريقة المتبعة في الفترة الرومانية عند الحفر ثم الردم إلى الجوار، قد لعبت دوراً في الحماية شبيهاً بدور الجدار الجنوبي KK، وبالتالي يصبح من المستحيل تفسير الجدار JJ كمتراس روماني بُني إبان حصار أورليان كما افترضه ج. ستاركي[٣٣]، وأن مقطعه الجانبي مع الحفرة الشمالية يدل على أنه قد استعمل للحماية ضد الأعداء القادمين من الشمال وليس ضد تدمر.

وبالاضافة الى دور الحماية هذا، فإن الجدار JJ أو «المنحدر الشمالي» بمقطعه الجانبي المميز كان له من دون شك وظيفة ثانية، ويتقاطع في مساره من الغرب وباتجاه الشرق مع مجموعة من الوديان التي تجري في هذه المنطقة من الشمال الى الجنوب، والتي أدت على مر الزمان الى تآكله وقطعه في نقاط عدة. مع ذلك فإن انحداره ليس شديداً، وربما يكون الجدار JJ بميلانه من الغرب الى الشرق قد لعب بنفس الوقت دور سد حامٍ للفراغ العمراني من الفيضانات القاسية القادمة من الشمال بعد أمطار الشتاء، أو دور مجمع يلتقط ويصرّف هذه المياه على بعد من الموقع المبني، وباتجاه منطقة البساتين[٣٤].

ويمكننا أن نفترض بالنسبة للجدار الذي كان محفوظاً عام ١٩٣٠، وجود قناة ري تقع على امتداد الوادي الأخير القادم من الشمال تجر الماء نحو منشأة للتجمع (بركة؟) قبل أن توزع الى المنطقة الشمالية الشرقية من الواحة[٣٥]. إن عملية التصريف هذه بعد جمع مياه المنطقة الشمالية في تدمر مؤكدة من آثار الجدار - السور، الواقع على امتداد أحد الوديان المنحدرة من هضبة قلعة ابن معن والذي يجمع المياه فيه[٣٦].

وهناك عند الطرف الشرقي للجدار JJ وفي النقطة X

حيث يقطعه واد نلاحظ أيضاً ثلاثة أجزاء من الجدار طولها من ٣٠ الى ٤٠م، ولكنها ممتدة بمنحى مختلف متجهة بشكل واضح نحو الشرق، بينما يتجه الجدار J J نحو الجنوب الشرقي. وليس لهذه الأجزاء الأخيرة الواقعة في الشرق المقطع الجانبي الذي يميز الجدار J J، والذي يزدوج في الشمال وعلى كامل طوله مع حفرة بعرض ١٥م لها قاع مسطح. تبدو هذه الحفرة مرسومة بجلاء وكأنها شريط داكن اللون يبين تراكم الرطوبة المناسبة للنبات. ويمكننا أن نتساءل بالتالي وبدءاً من النقطة X التي تحدد طرف الحفرة إن لم يكن الجدار ممتداً وبشكل مختلف ليكون حداً حامياً للمساحة المبنية.

اتصال الجدران: لقد جسّمت لنا وثائق عام ١٩٣٠ عند كشف الفراغ العمراني ضمن محيطه نظام الأسوار المعقد في تدمر. ويتضح التسلسل الزمني النسبي بين العناصر المحفوظة فيمكننا أن نتصور أول مسار محدد بالجدار KK ومتمم بالجدار الحجري على جبل المنطار (MN على مخطط آ.ف. جيركان) وامتداده المبني باللبن والمتجه نحو صف الأعمدة المعترض والذي نقب عنه م. غاوليكوفسكي مع التراجع نحو الشرق على مستوى الشارع الطويل ذي الأعمدة أو الى الشمال منه قليلاً[٣٧]. ومع هذه المعطيات المتاحة حالياً، يصبح من غير الممكن تحديد اتصال هذا المسار مع معبد بل. إن الوادي المتمم بجدار والواقع الى الجنوب الشرقي للمعبد كان يشكل حتماً الحدود الشرقية لهذا السور[٣٨]. وتقودنا الدلائل التاريخية الى نسب ذلك السور لفترة قبيل منتصف القرن الأول من عصرنا الحالي[٣٩].

ويمكننا أن نتساءل إن كان تاريخ الجدار - المنحدر الشمالي JJ يعود الى الفترة السابقة نفسها، أو أنه يتبع كما هو الغالب الى توسع لاحق للفراغ العمراني والمعاصر غالباً لاغلاق وادي القبور من الغرب (الجدار L). ونتساءل أيضاً إن كان هذا التوسع متصلاً (في القرن الثاني؟) مع منشآت المعسكر الروماني ذي الأبعاد ٢٠٠×٢٥٠م والواقع الى شمال المدينة قريباً من الزاوية الجنوبية الغربية للقرية الجديدة ومن المقبرة العسكرية ذات الشواهد اللاتينية[٤٠].

وظائف الجدران: اذاً فإن الجدار المتأخر والمسمى جدار ديوقليسيان هو سور عادي، وتشكل بقية العناصر الخطية الموجودة في الطبيعة خطاً دفاعياً أطول من أن تدافع عنه بفعالية حامية عادية من حالة الحصار. فهذا الضعف بديهي من أجل ذلك السور الأكثر امتداداً والمتقطع والذي يتوقف عندما تشكل التضاريس حماية طبيعية كافية. إن التجهيزات الدفاعية للجدران المشيدة في السهل قليلة مما يجعلها قابلة للاختراق. وقد لاحظ م. غاوليكوفسكي غياب الأبراج في الجزء المبني من اللبن بين جبل المنطار والباب الجنوبي للمدينة وكذلك وبشكل أكبر على الجدار الجنوبي KK.

هذه الأسباب المختلفة تجعلنا نستنتج بأن تلك الجدران كانت أعمال حماية لمجمل الفراغ العمراني وكانت تدافع عنه ليس ضد الجيوش النظامية لكن ضد عصابات اللصوص، وضد قطعان الماشية كي تنأى عن مزروعات البساتين[٤١]. وبهذا الشكل المحصور (N, M, KK)، يضم السور من عدا المدينة التي تشغل الضفة الجنوبية وجزءاً من الضفة الشمالية للوادي القسم الحيوي من الواحة مع نبع أفقا والبساتين التي يسقيها وبالوضع الأكثر امتداداً أي مع الجدران JJ وL فهو يضم أيضاً الضاحية الشمالية ووادي القبور. وعند الخروج من هذا الوادي تسهِّل التضاريس اقامة اغلاق ما. وقد لاحظ پيليه في دورا اوروبوس حاجزاً على بعد ١٥٠٠م تقريباً من سور المدينة، يمكن أن يشاهد على مسافة تزيد عن كيلومتر الى الشرق والغرب من قوس النص[٤٢]. وقد افترض بأن هذا السور الخارجي كان يحيط بالمساحة المزروعة للمدينة وكان يؤمن حماية قطعان الماشية أيضاً.

إضافة الى ذلك، فإن تلك الجدران، يمكن استخدامها وخاصة مع امتدادها العريض لتحديد الفراغ الجمركي للمدينة. وقد تذكر السيد خالد الأسعد الاسم المحلي التقليدي للجدار KK' وهو «سور الجمارك»[٤٣]، وقد وجدت كتابة مبهمة بعض الشيء في بساتين القسم الجنوبي للواحة يمكنها أن تدعم الافتراض السابق. وبما أن اسم هذا الجدار يلمح للضرائب وللإبل فقد كان يتعلق حتماً بجباية الضرائب

أو بدفع رسوم الدخول الى المدينة والخروج منها عند ممر ما واقع فيه وتجدر الاشارة بأنه قد وجد في وادي القبور سور مستطيل الشكل كأسوار الضاحية الشمالية، لتي يقع بعضها على طرف الطريق، والتي يمكن أن تفسر كمكان لتجمع القوافل أو كمراكز للشرطة أو للجمارك بغية تنظيم مرور القوافل[٤٥]. وعلى كل الأحوال فإن امتداد تلك الجدران يسمح بمراقبة كاملة لدخول القوافل الى تدمر فارضين عليها مسالك اجبارية.

إن قصة زوسيم التي تشير الى المراحل الأخيرة لحملة أورليان ضد زنوبيا، وتظهر تدمر كمدينة قوية التحصين[٤٦] ويلزمها حصار حقيقي للتغلب على مناعتها[٤٧]. فإن كانت هذه الشواهد موثوقة، فهي تقودنا للافتراض بأن تدمر في ذلك التاريخ كانت محصنة بمنشآت أشد فعالية من السور الكبير الذي سبق أن تكلمنا عنه (محيطه ١٢كم، ومساحته ١٠كم٢ تقريباً)[٤٨]. وبما أنه لم يبق أي أثر لسور أكثر وضوحاً، يمكننا أن نتساءل إن كان باستطاعتنا أن ننسب الى زنوبيا تشييد أول مرحلة من السور المسمى سور ديوقليسيان وبسرعة فائقة[٤٩]، وبذلك يبقى السؤال مفتوحاً.

## ٢ـ الفراغ العمراني[٥٠]:

الطرف الجنوبي للوادي (الشكل ٢-٤): تثبت الصور الفوتوغرافية لعام ١٩٣٠ أهمية الطرف الجنوبي للوادي ضمن الفراغ العمراني في تدمر[٥١] وتعطي له ولأول مرة صورة مترابطة. في هذه المنطقة أقيمت المباني العامة الضخمة بدءاً بمعبد نبو وحتى الأغورا. يرتسم تنظيم المنطقة على الصور الفوتوغرافية الجوية بخطوط وأشكال هندسية غالباً ماتكون مستطيلة وتمثل الأبنية. وقد دققت المعالم الملحوظة على الصور وأكملت بعملية رفع طبوغرافية في ربيع ١٩٩٣، ويبقى تفسير هذه المباني غير مؤكد دون القيام بعمليات التنقيب. وهنا سنتوقف عند بعض الملاحظات فقط:

تبدو على المخطط (الشكل ٢) ثلاثة مواقع مميزة، وهي تجسد تحليلاً لتلك المعطيات: يمتد الموقع الأول في الشمال وعلى طول الوادي الذي يبدو أنه قد فرض عليه اتجاهه. وفق جهة الغرب وعلى بعد مائة متر جنوبي الوادي، نميّز مجموعة (a) منظمة ومنسقة على محور يميل ١١٤° نحو الجنوب الشرقي، ويمكن مشاهدتها على مسافة ١٤٠م حيث تنطلق وباتجاه الشمال دائماً سبعة خطوط عمودية على الأقل، يمكن متابعة أحد هذه الخطوط الى ما يقرب من ٣٠م. ولا بد أن الحدود الجنوبية لتلك المجموعة قد كانت شارعاً تطل عليه الدكاكين. تتباعد الخطوط الأربعة الأولى العمودية عن بعضها بمقدار ٦م تقريباً، ونلاحظ ثلاث حجرات أخرى، لها نفس المقاسات في الطرف الشرقي. وتذكرنا الأبعاد مع التقسيمات المنتظمة لتلك البنية ببناء عام ضخم أو بمجموعة متلاصقة من الدكاكين مرتبطة بجزيرة أو بأكثر من الجزر السكنية.

وعلى بعد ٢٣٠م الى الشرق، نجد جنوبي معبد آرصو ـ الذي حددت هويته عام ١٩٨٠ـ ١٩٨٢[٥٢]ـ اتجاهات مماثلة للمسار (b) والمرئي على مسافة تزيد عن مئة متر مع مسارين عمودين باتجاه الشمال واثنين موازيين. إن المجموعة الموجودة في الجزء الموصوف الى الغرب يمكنها أن تحدد استقامة شارع نستطيع متابعة رؤيته على مسافة أكثر من ٤٥٠م.

تقسم المنطقة الواقعة الى الجنوب من ذلك الموقع الى قسمين يمكن تمييزهما من التوجيه السائد والمختلف.

إن العنصر المحدِّد في الغرب (c) هو خط يميل بزاوية ٧٩° نحو الشمال الشرقي ويمكن رؤيته على طوال ٢٥٠م، وقد يكون شارعاً أيضاً. ونميز منه عدداً من الأقسام غير متوضعة بدقة على استقامة واحدة والتي نستطيع أن نربط بها أقساماً عمودية[٥٣]. أربعة منها ترى على مسافة بسيطة وتتجه نحو الجنوب، وواحد آخر باتجاه الشمال ويمتد على مسافة ٤٥م وعلى هذا القسم يوجد مربعان متجاوران طول ضلع الواحد ٥,٣٠م تقريباً قد يمثلان دكاكين. هذه الفرضية تدفعنا للظن بوجود شارع متعامد مع الشارع الأول باتجاه الشمال يشرف عليه على الأقل بناءان آخران في الجنوب. وفي هذا الموقع نفسه توجد مجموعة أخرى

(d) تتميز بمواصفات صرحية بوضوح (الرقم ٨٣٨ – ٨٣٩) وتأخذ اتجاهات مختلفة اختلافاً بسيطاً، ولها جدران ذات أحجار كبيرة مع سطوح متدرجة و التي تمكنا أن نحدد منها على الأقل حجرتين ذات سطوح متوازية فيما بينها يمكن الوصول اليها عن طريق ممر أو ممرين جانبيين[٥٤].

والى الشرق توجد مجموعة أخرى من الأبنية بأحجام مختلفة تأخذ اتجاه شمال - جنوب، ونستطيع تتبع استقامة (e) على مسافة ١٥٠م مع بعض عناصر توازيها على بعد ١٥م تقريباً الى الغرب قد تشير الى شارع ثالث، وتوجد أجزاء أخرى متوازية ومتعامدة تنتسب الى المجموعة نفسها.

وأخيراً هناك المنطقة (f) في الطرف الشرقي والتي يحدها من الشمال خط متباعد عن استقامة القطاع (b). وقد تكون هاتان الاستقامتان قد شكلتا طرفي جزء من شارع يضيق من الغرب الى الشرق. ويرتبط بهذا الاتجاه استقامة وحيدة عمودية بالاضافة الى مبنى مستطيل الشكل متراجع قليلاً. وتوجد استقامات أخرى بعضها متوازٍ مع بعض تأخذ اتجاه شمال - جنوب يبلغ طول معظمها ٥٠م على الأقل.

وتشير هذه البقايا المرسومة الى استيطان امتد على كامل المساحة بين الطرف الجنوبي للوادي وحتى جنوبي الطريق الحالية. وهي تؤكد الفرضية المذكورة منذ أمد بعيد حول امتداد المدينة المسماة «هيلينستية». إن نتائج السبر الذي قام به آ. شميدت كولينيه بالاضافة لوجود فخار سطحي من الطراز الهيلينستي أو الروماني القديم غير الموجود بشكل كامل تقريباً في مدينة ديوقليسيان قد أثبت بأن نمو هذه المنطقة سابق لنمو الأحياء السكنية الواقعة شمالي الوادي.

ومن جهة أخرى، فإن الاتجاهات والاستقامات المكتشفة، تدل على تنظيم جزئي للفراغ مع شيء من الاتساع أحياناً في مواقع محدودة. ولا نلاحظ تخطيطاً منهجياً حتى على مقياس الحي بشكل أكثر مما هو عليه في الطرف الشمالي للمدينة.

لم تحدد بعد وظيفة الحي، ونتوقع وجود أبنية مختلفة من حيث طبيعتها ومقاساتها وقد تكون أكثر بساطة في القسم الجنوبي. لم نتعرف من بين هذه الأبنية على البقايا المميزة للبيوت الفخمة ذات الأعمدة المحيطة الموجودة في الحي الشمالي، هذا الطراز الذي يبدو أنه قد تطور في تدمر في القرن الثاني الميلادي. وقد وجد هذا الطراز داخل سور ديوقليسيان الى الشرق من الطريق الحديثة التي تخترق الموقع حتى المنازل المنقبة من قبل دورو على مقربة من معبد بل. ويمكن أن نتوقع في الحي الواقع جنوبي الوادي وجود بيوت متواضعة من اللبن مبنية على أساسات من الحجارة، بالاضافة الى منشآت تجارية وصناعية وربما معابد أو مبان عامة كالمبنى ذي السطوح والموجود في الجهة الغربية (d).

مدينة ديوقليسيان من الداخل: تكشف الصور عن مخطط واضح لمدينة ديوقليسيان من الداخل وهو يتألف من شبكة من الشوارع والأبنية الواقعة على جهتي الشارع الطويل[٥٦]. ففي الشمال توجد شوارع بعرض ٤,٣٠م تقطع شرائحاً بعرض ٢٧,٥م[٥٧]. وتتداخل جزيرة بعرض مضاعف بين هذه الشرائح الضيقة، أما الشوارع المعترضة فهي نادرة. وهنا نتساءل عن الأسباب التي أدت الى هذا التقسيم في هذه المنطقة من تدمر، والذي ترافق مع وجود جزر بعرض مضاعف تقريباً ولها نفس الاتجاه الى الجنوب من الشارع الطويل. تعد هذه الصيغة نادرة نسبياً في العالم الهيلينستي والروماني، إذ كانت تحسب الجزر لتجمع بطريقة اقتصادية صفين من البيوت بحيث ينفتح كل صف على شارع واحد. أما في الشرائح الضيقة في تدمر فتوجد بعض البيوت الكبيرة التي تشغل كل العرض ولها بالتالي من الجانبين منفذ على الشوارع.

الضاحية الشمالية: احدى المناطق الأكثر أهمية والمكتشفة في الصور الجوية، هي الضاحية الواقعة شمالي سور ديوقليسيان. وتبين تلك الصور بأن الجدار الشمالي JJ لا يحيط بمساحة خالية، بل بمنطقة تحتوي على نماذج مختلفة من القبور، بالاضافة الى منشآت بمقاسات متنوعة لها أسوار مستطيلة قد تكون ثكنات، مستودعات، خانات أو اصطبلات لحيوانات القوافل[٥٨]. وقد عرفت ضاحية

مماثلة وفيها تلك الأسوار في الجهة الشرقية للسور الذي يحيط بالقسم المركزي لمدينة زلبية[٥٩].

### ٣- طرق الحركة:

الطرف الجنوبي للوادي: إن المحور الكبير الذي يتحكم في طبوغرافية تدمر منذ نشأتها هو وادي القبور، كما هو الحال في وادي موسى في البتراء، وكان وادي القبور يشكل المدخل الى المدينة من الفسحة التي تجمع الطرق الآتية من جهة الغرب كالطريق القادم من حمص وطريق آخر من دمشق مروراً بالقريتين. أما بالنسبة لأسفل الوادي حيث وجدت آثار تبليط فقد يكون استعمل كشارع[٦٠].

ومن بين المعالم المكتشفة على الطرف الجنوبي للوادي والتي يمكن اعتبارها محاور للحركة لدينا المحور المستقيم للمجموعة (a) و (b) والذي يبدو كشارع مواز للوادي وكذلك امتداد مسار وادي القبور. والشارع الثاني هو الشارع المعاد تخيله على الاستقامة (c) والمرئي على مسافة طويلة والذي قد يكون احدى الطرق المتحولة عن الطريق الغربي المحيط بهضبة أم بلقيس بدلاً من اتباعه للوادي. ويظهر هذا الشارع متباعداً عن الأول (a-b) ولمسافة ١٧٠م تقريباً بدءاً من الزاوية الجنوبية الغربية للأغورا. وباتجاه هذه النقطة أيضاً، يتجه الشارع الممتد من الشمال الى الجنوب (e). ونفترض هنا وجود مسافة ما قد تشرح لنا سبب اتساع جزء من الشارع (b).

من جهة أخرى، فإذا مددنا الشارع (a-b) فإنه سيصل الى جوار مدخل معبد بل[٦١]. ونكون بذلك وبشكل واضح أمام واحد من المحاور الرئيسية للمدينة.

تفترض السيدة د. پ. كروش طريقاً آخر يصل الباب الواقع في الجدار الجنوبي 'KK والذي سماه ج. ستاركي[٦٢] باب دمشق مع باب المسرح مروراً بشرقي فندق الشام. ولقد أشارت الى أن الجدار 'KK مقطوع بشكل مائل بالباب وبأنه يقع على صف واحد مع باب المسرح. وهي تبحث عن اثبات من خلال الاكساء الرخامي الأبيض الذي يزين الباحة التي تسبق باب المسرح و الذي نقارنه مع باب دمشق[٦٣]. ولكن هذا الافتراض الذي يشير الى أن تلك الشوارع كانت ممتدة بخط مستقيم لم يبرهن بعد.

وعلينا أن ننوه الى أن العمودين المنعزلين اللذين انتصبا الى الغرب والى الشرق من الحي الواقع جنوبي الوادي لم يكونا متداخلين مع نظام المحاور الذي سبق أن عرفناه بالرغم من أن العمود الشرقي يقع قريباً من استقامة شارع المسرح.

المحور الشمالي: أمكننا أن نتعرف من الصور على محور هام آخر للحركة الى الشمال من المدينة. وكان أحد الطرقات قد اجتاز في عام ١٩٣٠ الجدار - السور الشمالي، ويبدو هذا واضحاً في وسط منطقة داكنة اللون على احدى الصور الجوية القديمة[٦٤] وتدل هذه المنطقة على وجود رطوبة قد تكون ناشئة عن وظيفة تصريف المياه لهذا الجدار، أو عن وجود مجرى مائي باتجاه شمال - جنوب يمر تحت تلك الطريق[٦٥]. والى الغرب قليلاً من هذا المسار يوجد طريق قديم - اصبح فيما بعد شارعاً - يمكن اعادة تخيله من بعض القبور المرتبة والمتجهة نحوه، متبعين مجدداً الخطى المستعملة من قبل د. شلومبرجيه لتحديد مسار الشارع الممتد على استقامة صف الأعمدة المعترض وباتجاه الشمال[٦٦]، ويبدو أن هذا الاتجاه لم يمتد الى داخل سور ديوقليسيان. لم نتعرف من جهة أخرى على محور كبير للمواصلات في الشبكة المنتظمة للشوارع المتوازية والضيقة في الحي الشمالي الغربي، الذي يبدو أنه صمم كشبكة مستقلة متراصة بشكل كبير في حي سكني. وكما اقترحت دراسات سابقة فإن حركة السير الهامة، لا بد أنها كانت تمر إما من الشارع المعترض ذو الأعمدة أو تحيط بالمدينة من الشرق[٦٧].

### ٤- المقابر:

ألحقت المدافن وبخاصة ذات الطابع الصرحي بالطرقات الكبيرة التي تؤدي الى تدمر. فارتبطت المقبرة الجنوبية الغربية بالطريق المباشرة الى دمشق، المقبرة الغربية في وادي القبور بطريق حمص ودمشق مروراً بالقريتين، المقبرة الشمالية بطريقي صورا ودورا، والمقبرة الجنوبية الشرقية بطريق هيت. غير أن القبور لم تتوزع بانتظام على جانبي الطرقات، بل امتدت وبشكل

خاص في الشمال على مساحات واسعة لا سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار ليس فقط المدافن ذات الأبراج أو المدافن-البيوت والمعابد لكن المدافن الموجودة تحت الأرض أيضاً. ولقد أعطت الصور الجوية صورة أكثر دقة لتداخل المقابر المعقد مع الفراغ العمراني.

لا يظهر الفصل بين القبور والمساحات المسكونة، بشكل ملموس على الواقع ولا بتقسيمات مستقيمة سوى في المقبرة الجنوبية الغربية (الشكل ١، ١٠)، حيث تقع جميع القبور المعروفة حالياً مباشرة في الجهة الجنوبية من الجدار 'KK، وهذا يدل على أن الجدار سابق لوجود المقبرة أو معاصر لها. وفي داخل هذا السور وباتجاه الشمال، تظهر بوضوح مساحة مبنية ومسكونة، وخاصة على السفح الشرقي لجبل منطار، إذ نشاهد أيضاً بقايا جدران مبنية بشكل جيد وقد تخص بيوت كبيرة. أما القسم الشرقي من تلك المنطقة، فربما كان مغطى بالبساتين.

وعلينا أن نذكر بالمقابل، الجدار الشمالي 'JJ الذي يحيط بكل مدافن هذا القطاع، مما يدل على أنه لاحق للمقبرة وأكثر حداثة من الجدار الجنوبي 'KK. تختلف وظيفة هذا الجدار قليلاً عن وظيفة السور التقليدي، ذلك لأنه يستعمل للحماية من فيضان الوديان، ويجمع مياهها لسقاية البساتين.

من المعروف جيداً، أن السور المسمى سور ديوقليسيان قد ارتكز على مدافن استعملت كأبراج، وضم أحياء نمت في المرحلة الأخيرة لمدينة تدمر قبل تدميرها من قبل أورليان، وامتدت بدءاً من القرن الثاني الميلادي على مناطق كانت مشغولة بالمقابر بشكل جزئي.

تتوقف مقبرة وادي القبور عند غربي الجدار المبني من اللبن والذي يصل جبل منطار بمدخل الشارع المعترض، وقد تعرفنا من الصور الفوتوغرافية، وعلى الموقع أيضاً، على أربعة مدافن، على الأقل، تقع عند الحدود الجنوبية الغربية للحي المتوضع على الطرف الجنوبي للوادي (الشكل ٢). وتقع ثلاثة قبور برجية (تحمل الأرقام ٨٦٤ و٨٨١) شمالي الطريق الحالية، ويوجد صرح أكبر منها قد ينتسب الى طراز المدفن-البيت (رقم ٩٢٤) ويتوضع قرب الزاوية الشمالية الشرقية لفندق الشام، جنوبي الطريق الحديثة[٦٨]. ولتفسير وجود هذه القبور في ذلك الموقع، يجب تأريخ تلك القبور بدقة كبيرة. فهل يكون ذلك من رواسب عصر سابق لتشييد السور MN؟ أم أنها على العكس صروح مشيدة على امتداد وادي القبور، في وقت كان فيه الجدار بحالة انهيار في منطقة واقعة على حدود السكن؟

دلت الصور الفوتوغرافية على أن المطبوعات التي بين أيدينا، والسجلات التي تحصي المباني الجنائزية، لم تكن مكتملة وفيما يخص القبور - الأبراج، القبور - البيوت والقبور - المعابد، التي تتميز بهندستها المعمارية، والمتوضعة فوق سطح الأرض، فتبين دراسة الآثار الواضحة على الصور الجوية مع مقارنة بعض المناطق على الواقع أن القائمة التي نشرها ويغان لم تستوف كل المعلومات[٦٩]. لكن الصور الفوتوغرافية تظهر لنا وخاصة فيما يتعلق بالمدافن الأرضية عدداً من القبور أكبر مما اكتشف ونقب عنه سابقاً، إذ غالباً ما كانت ترسم المدافن على المخططات المنشورة بشكل اجمالي مشار اليها بخطوط متوازية[٧٠]. ونسعى منذ الآن للحصول على خريطة لتلك المدافن بشكل مفصل: فالصور الفوتوغرافية تظهرها بشكل بقع غير منتظمة قريبة من الشكل الدائري (الشكل ٦، ٨)، ويبين النور المنتشر على الأرض المسطحة في أمكنتها، حفراً قليلة العمق اعتبرت سابقاً كأثر لتنقيبات أجريت للوصول الى الغرفة الجنائزية من الأعلى، وهي في الواقع علامات ناتجة عن انهيار تحت الأرض لغرفة منحوتة في طبقات رسوبية ضعيفة المقاومة مثل القبور التي قام الفريق الياباني بالتنقيب عنها حديثاً في المقبرة الجنوبية الشرقية. لا يمثل هذا النموذج من المدافن في الواقع هيكلاً معمارياً حاملاً ولم تستعمل الحجارة فيه الا لغرض تزييني. وقد شوهد في المنطقة الواقعة شمالي مدينة ديوقليسيان عدداً لابأس به من البقع على صور شهر آذار، وهي ذات لون قاتم على العموم، وقد أتى هذا اللون من تأثير رطوبة أمطار الشتاء المتبقية والتي أدت لنمو النباتات.

يمكننا أن نورد هنا ثلاث مناطق كشواهد: المقابر

الشمالية الغربية (الشكل ٦، ٧)، الجنوبية الشرقية (الشكل ٨، ٩)[٧١] والجنوبية الغربية (الشكل ١٠)[٧٢]، حيث نستطيع أن نحدد الى جانب المدافن البرجية غير المنشورة أحياناً، عدداً لابأس به من الآثار على هيئة حفر تشير غالباً الى مدافن تحت الأرض. وعندما تكون هذه المدافن على منحدر، كما في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، فإنها تبدو بأشكال مختلفة، وهنا تظهر بشكل قمع، ولكن المدخل الى تلك المدافن كان بوضع أفقي. تظهر بعض المداخل كنقطة قاتمة على الصور الفوتوغرافية، ونلاحظ تحت مستوى مدخل المدفن مخروطاً صغيراً من الردميات على المنحدر. ويبدو أن المقبرة الجنوبية الغربية (الشكل ١٠) المركزة على مساحة ٢٠٠X٣٥٠م، كانت مشغولة بشكل كثيف مع اتجاهات سائدة جنوب - شرق / شمال - غرب، ونعرف فيها اثني عشر مدفناً - برجياً بواجهات محفوظة، ومدافن تحت الأرض منهارة وتشكل فجوات بحجوم صغيرة. ويشاهد بوضوح عدد من الأبهاء الخارجية لقبور من نفس الطراز ولها مداخل مستقيمة، وهي تدل الى أن مداخل القبور كانت متوضعة بشكل منطقي من جهة مجرى المياه كما هو حال المقبرة الشمالية الغربية.

تبين الأمثلة الثلاثة للخرائط المقترحة هنا، المعطيات المرئية حتى عام ١٩٣٠ فحسب وانطلاقاً من تأويل الصور الجوية، دون أن تأخذ بعين الاعتبار الأعمال المنفذة على الموقع منذ ذلك التاريخ أو التي ما زالت قيد التنفيذ، فهي بحاجة اذاً لتصحيحات مكملة. و بما أن بعض الآثار التي كانت مرئية عام ١٩٣٠ قد بدأت تندثر أو اختفت تماماً، فإن تلك الوثائق يمكن أن تقدم مستنداً ثميناً للأبحاث الحالية، وهي تدل من الآن على استيطان أكثر كثافة مما ظهر على المخططات القديمة.

**خاتمة:**

تحث وثائق عام ١٩٣٠ للعودة الى دراسة منهجية للحيز وللفراغات المشكلة لمدينة تدمر بمعالمها المميزة كمدينة للقوافل تتمركز في واحة ضمن الصحراء السورية: حيز البيئة الطبيعية التي لم نتعرض لها هنا والتي تشمل ينابيع المياه، المحاصيل الزراعية والملح؛ فراغ الحركة والاتصالات الضروري في مدينة للقوافل، الحيز السكني والذي لانعرف منه حتى الآن الا المراحل الأحدث، الحيز التابع للدولة والمتعلق بالمباني العامة والتي تعكس تطور الكيان السياسي متبعة في بعض مظاهرها المدن التي تأثرت بالحضارة الهيلينية، وأخيراً الحيز الديني الذي يقدم مفتاحاً لادراك تشكيل كيان مدني أصيل. وفي الواقع ومن المعلوم أن طقوس العبادة في تدمر تعكس تنوع السكان في المدينة، وبصورة أدق يمكنها أن تكون شاهداً على توزع الأرض على مجموعات من الناس سكنت في أحقاب مختلفة، أو على جماعات متميزة كالقبائل العادية أو ما تأسس منها بحدث سياسي مما عرف عن طريق الكتابات. إن الصلات المميزة لمعابد بعلشمين، اللات وآرصو مع مجموعات اجتماعية محددة، هو شيء معروف لكنه بحاجة لدراسة دقيقة أيضاً. فوجود قبر متداخل مع معبد بعلشمين يعطي لهذه العبادة وللمساحة المجاورة لها تقليداً عائلياً - قبلياً، ونظن أيضاً أن اتباع الآلهة المكرمة من جماعة قد تجاوز حدود المعبد ليمتد الى الحي. وقد كرست بعض الاهداءات في جزء من أعمدة الشارع الطويل للاله آرصو والذي عرف مكان معبده بالقرب من مجرى الوادي والى الجنوب[٧٣]، وكذلك كرست أروقة صف الأعمدة المعترضة الى شمس، رحم واللات، وبالقرب منها يوجد المعبد الذي يضمها والواقع في معسكر ديوقليسيان[٧٤].

ترتبط الانقطاعات التي سجلتها الوثائق الجديدة بشأن تنظيم المدينة وكذلك غياب المحاور المسيطرة بعمل تأسيسي، وهي توحي بنمو المدينة المنشأة بطراز مختلف عن الطراز اليوناني - الروماني المعروف في الشرق القديم[٧٥]. وكما هو الحال بالنسبة لهذا الطراز الأخير، يمكننا أن نتصور نمواً ما بدءاً من عدة نوى منفصلة، تعود الى جماعات ذكرناها سابقاً. ويعطي توزع المعابد في الفراغ العمراني مؤشراً هاماً، اذ يتوضع كل من معبد اللات ومعبد بعلشمين بشكل واضح خارج نطاق سور المدينة الأول، ويشغل معبد بل الموحد مكاناً بعيداً عن المركز بالنسبة للتوسع السكني. ويمكننا تفسير المشهد الحالي للمدينة بتوحيد متدرج لفراغات متعددة في الأصل مع

محاولات لاحقة للتنظيم، طبقت بشكل متوال على قطاعات محددة. ولعل المرجع الذي سعى اليه هذا التطور هو طراز مدينة البحر المتوسط والممثلة في سورية بالمواقع المؤسسة في الفترة الهيلينستية أو بتكوينات وابداعات الفترة الرومانية. ويعد الشارع ذو الأروقة في انطاكية، والذي مازال دوره العمراني والاجتماعي حساساً جداً، الصيغة الهامة في توحيد النوى المختلفة في المدينة[٧٦]، إذ يبدو غالباً كما هو في تدمر كعمل تزييني سيء العلاقة مع نظام الشوارع[٧٧]. فالترابيل مثلاً لا يتوضع على مفرق حقيقي للشوارع، وكذلك فانقطاع محوز الشارع الطويل ذو الأعمدة والذي مول و شيد كل جزء منه على حدة يعتبر مؤشراً واضحاً. و يحتمل من خلال هذه الأعمال أن تكون مجموعات مميزة قد استمرت في الظهور الى جانب السلطة السياسية المركزية للمدينة[٧٨].

* راجع التعليقات والمراجع والصور في البحث الاصلي بالقسم الأجنبي.